المقدمة

يعدُّ الأدب المقارن واحداً من أهم الفروع فى مجال علوم الأدب، وتعدُّ دراساته من الدراسات النقدية المهمة التى لفتت أنظار كثير من الأدباء والنقاد فى أنحاء العالم إبان نشأته الأولى، ولدراساته أثر جوهرى فى معالجة القضايا النقدية والأدبية، فهو يفتح أمام الباحثين آفاقاً واسعة وجديدة للاطلاع على سائر الآداب، ويساعد فى زيادة التفاهم والتقارب بين الشعوب. وتلبية لاحتياجات العصر والتطور فى الميادين الأخرى للأدب، وظهور العالمية الإنسانية فى عصور النهضات العلمية والأدبية، واتصال البلدان العربية وإيران بالبلدان الغربية، وتأثرهما بها، ولاسيما فى مجال العلوم الإنسانية والفروع الحديثة، بما فيها النقد الأدبى، فقد تطور هذا الفرع النقدى مواكباً التطورات الراهنة فى مجتمعنا الحالى، وتطرق إلى ميادين مهمة وشاقة مثل «الاستشراق»، و «العولمة»، ... إلخ، وهو ما زاد من أهمية هذا الفرع النقدى الحديث، وألزم النقاد المقارنين أن يدخلوا فيه ويقدموا دراسات عميقة وحديثة، ويشاركوا فى المؤتمرات الدولية، ويبحثوا عن جذور الأدب المقارن الأولى فى أدبينا العربى والفارسى. إن التقارب الزمنى لنشأة الأدب المقارن فى الأدبين العربى والفارسى، وتشابه الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للدول العربية وإيران، مع صلتهم وعلاقتهم الوطيدتين طوال عصورهم الماضية، واشتراكهم الدينى واختلاط المعانى الإسلامية والعربية السامية بالحضارة الإيرانية العريقة، وتأثرهم المتشابه بالاتجاهات والقضايا العامة المسيطرة على الأدب، فضلاً عن اشتراك النزعات الإنسانية والعالمية للأدباء العرب والفرس فى عصور النهضات العلمية والأدبية، وتأثر الأدباء المقارنيين العرب والفرس بالمصادر والمراجع الأجنبية المتشابهة، ذلک كله أدّى إلى حضور تاريخ ملئ بالانفعال والفعل، والتأثر والتأثير، والأخذ والعطاء، والتشابه بين الثقافتين العربية والفارسية، فأصبحت ساحة الأدبين العربى والفارسى ميداناً خصباً لإقامة الدراسات التطبيقية فى الأدب المقارن،

ولقد تناولتها أقلام المقارنين العرب والفرس منذ الإرهاصات الأولى للدراسات المقارنة فى العالمين العربى والإيرانى إلى أيامنا هذه.

يحاول هذا البحث النقدى المقارن أن يسلط الضوء على نشأة هذه الدراسات المقارنة وتطورها فى الأدبين العربى والفارسى، وعلى العوامل المؤثرة فى نشأتها، وعلى روادها وأعلامها فى هذين الأدبين، وعلى المؤلفات والدراسات النظرية والتطبيقية المقارنة بين الأدبين منذ إرهاصاتها الأولى إلى وقتنا الحاضر، فضلاً عن بيان مدى تجليات مدارس الأدب المقارن واتجاهاته فى هذه الدراسات. كما يهدف البحث إلى بيان واقع الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى فى العالمين العربى والإيرانى، وذلک من خلال معالجته خط سير هذه الدراسات منذ إرهاصاتها الأولى، مروراً بأهم المراحل التى عبرت منها إلى أيامنا هذه، و يحاول كذلک، تبيين كيفية استلهام الأوساط النقدية والمقارنة العربية والفارسية، الأدب المقارن والنظريات الموجودة فيه وتطبيقها، لبيان مدى تقيدهم بالأسس النظرية لهذه المدارس والاتجاهات، وبيان مدى إضافتهم الجديد فى هذا المجال، لتشكيل تجربة عربية أو فارسية مقارنة، ومناهضة النزعة المركزية الغربية بإسهامهما فى هذا الحقل المعرفى. أما أهم الأسئلة الرئيسة التى تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها فيمكن صياغتها على النحو الآتى:

ما أهم العوامل المؤثرة فى نشأة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى، وإلى أى حقبة ترجع الإرهاصات الأولى لهذه الدراسات؟ ما أهم المراحل التى مرّت بها الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى فى الوطن العربى وإيران؟ من الرائد الأكاديمى للبحث المقارن التطبيقى بين الأدبين العربى والفارسى؟ من أهم الأعلام الذين كتبوا فى الصلات العربية ـ الفارسية بحسب مناهج الدرس المقارن للأدب؟ ما أهم الدراسات النظرية والتطبيقية المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى وما أهم ميزاتها؟ إلى أى مدى استقبلت الأوساط الثقافية العربية والإيرانية مدارس الأدب المقارن؟ وإلى أى مدى برزت وجهة نظرهم فى هذا الحقل المعرفى الإنسانى؟

وتشمل هذه الرسالة ما نُشر من كتب، ورسائل جامعية، ومقالات فى مجال الصلات الأدبية العربية ـ الفارسية، باللغتين العربية والفارسية، دون الدراسات التى أُلّفت بلغات أخرى فى هذا المجال.

أما المنهج المتبع فهو المنهج الوصفى المضمونى. وحاولتُ فى هذه الدراسة التقيد بالعرض التاريخى للدراسات المقارنة. وبناء على الاتجاهات السائدة والمدارس المختلفة فى الدرس المقارن للأدب، التى وضعها المقارنون العرب والفرس فى حسبانهم فى دراساتهم المقارنة، فقد أفدتُ من المدارس والاتجاهات فى الدرس المقارن للأدب كلها، بحسب المنهج الذى اتبعه المؤلفون العرب والفرس فى دراستهم، وذلک لکى تکون ملائمة لطبيعة الدراسة التى أتناولها، التى تفرض علىّ المنهج الذى ينبغى أن أطبّق على هذه الدراسة أو تلک. لذلک انتهجتُ نهج المدرسة الفرنسية التى تعدّ الصلات التاريخية شرطاً أساساً لإقامة الدراسة المقارنة، إضافة إلى اختلاف اللغة، كما انتهجتُ نهج المدرسة الأمريكية التى ترى أن وجود تشابه بين العملين الأدبيين دون إقامة صلة تاريخية بينهما يعدُّ كافياً لإقامة الدراسة المقارنة، كما انتهجتُ نهج التجربة السلافية التى تردّ المشابهات بين الآداب القومية المختلفة إلى المشابهات بين البنى التحتية المنتجة لهذه الآداب. فضلاً عن إفادتى من الاتجاهات الأخرى والحديثة مثل الاتجاه الاستقبالى، ودراسات الصورة، ونظرية مابعد الاستعمارية.

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وثلاثة أبواب فى عشرة فصول، وخاتمة، وملحق.

تناولتُ فى الفصل الأول من الباب الأول نشأة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى، وتحدثتُ عن العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة فيها، فتحدثتُ عن التراث المشترک، وعصر النهضة، والطباعة، والترجمات والمترجمين، والاستشراق، وانتشار الصحف والمجلات. وترجع الحدود الزمنية لهذا الفصل ـ بغض النظر عن مبحث التراث المشترک ـ إلى بداية عصر النهضة العربية والإيرانية منذ القرن التاسع عشر، كما تشمل الحدود المكانية إيران والبلدان العربية، لاسيما مصر، ولبنان، وسورية. بالإضافة إلى هذه الأمور تناولتُ الإرهاصات الأولى

للدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى وتأسيسها وتطورها، فى العالمين العربى والإيرانى، وترجع الحدود الزمنية لهذا القسم فى الوطن العربى إلى بدايات القرن العشرين، وفى الأدب الفارسى إلى ثلاثينيات القرن العشرين. والكلام على الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى دون التطرق إلى العوامل المؤثرة فى نشأتها، وكذلك إرهاصاتها الأولى تبدو ناقصة وغير أكاديمية، فلذلك وضعتُ هذا الفصل تمهيداً مهماً - لا غنى عنه - للفصول الآتية. واعتمدتُ فى كتابة هذا الفصل على أهم المصادر والمراجع العربية والفارسية، وأفدتُ من أهم المجلات فى العالمين العربى والإيرانى، ولا سيما فى مبحث الإرهاصات الأولى للدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى.

وانتقلتُ فى الفصل الثانى من الباب الأول إلى مبحث ريادة الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى وأعلامها، واخترتُ من كل بلد عربى أشهر الأشخاص فى مجال دراسة الصلات العربية-الفارسية، فمن مصر: محمد غنيمى هلال، وعبدالسلام كفافى، وطه ندا، وبديع محمد جمعة، ومحمد السعيد جمال‌الدين. ومن لبنان فكتور الكك، ومن سورية محمد ألتونجى، ومن الأردن يوسف حسين بكار، ومن إيران محمد محمدى. واعتمدتُ فى كتابة هذا الفصل على السير العلمية التى كتبها هؤلاء الأدباء المقارنون عن أنفسهم فى بعض الحالات، وعلى المقابلات الشخصية التى أجريتُها مع بعضهم الآخر، فضلاً عن الكتب التى تناولت بعض هؤلاء وإنتاجهم فى الدرس المقارن للأدب.

وتطرق الفصل الأول من الباب الثانى إلى الدراسات النظرية المقارنة، وتناولتُ فيه أهم الكتب النظرية المقارنة فى مجال الصلات العربية -الفارسية، التى يمثلها كتاب *الأدب المقارن* لمحمد غنيمى هلال، وكتاب *فى الأدب المقارن*؛ *دراسات فى نظرية الأدب والشعر القصصى* لمحمد عبدالسلام كفافى، وكتاب *الأدب المقارن* لطه ندا، وكتاب *دراسات فى الأدب المقارن* لبديع محمد جمعة، وكتاب *دراسات فى الأدب المقارن* لمحمد ألتونجى، وكتاب *الأدب*

المقارن؛ دراسات تطبيقية فی الأدبين العربی والفارسی لمحمد السعيد جمال‌الدين، وكتاب مقدمة فی *الأدب الإسلامی المقارن* لـ «الطاهر أحمد مكی»، وكتاب *ادبيات تطبيقی؛ با تكيه بر مقارنه ملک‌الشعراء بهار و اميرالشعراء شوقی* لـ «ابوالحسن امين مقدسی»، وكتاب *الأدب المقارن دراسات تطبيقية* لـ «علی صابری»، وكتاب *الأدب المقارن (ادبيات تطبيقی)* لـ «عليرضا شيخی». والحدود الزمنية لهذه المرحلة تبدأ بعام 1953م، العام الذی نشر فيه غنيمی هلال كتابه، وتنتهی بعام 2007م، إذ نشر كل من علی صابری، وعليرضا شيخی كتابيهما فيه. وتشمل الحدود المكانية كلاً من مصر، ولبنان، وسورية بين البلدان العربية إضافة إلی إيران.

وتطرق الفصل الثانی من الباب الثانی إلی الدراسات التطبيقية المقارنة بين الأدبين العربی والفارسی، فقد حصرتُ فيه الكلام علی أشهر الموضوعات التی تناولها النقاد المقارنون العرب والفرس، التی تمثلها موضوعات «مجنون ليلی»، و «القصص القرآنی» ومنه «المعراج»، و «يوسف وزليخا»، بالإضافة إلی موضوعات أخری مثل: «المقامات»، و «الوقوف علی الأطلال والدمن بين الأدبين العربی والفارسی»، و «الحكاية علی لسان الحيوان»، و «عمر الخيام ورباعياته»، و «أثر الثقافة العربية فی أدب سعدی الشيرازی». إن كثرة الموضوعات التی تطرق إليها المقارنون العرب والفرس وتوسعها، لم‌تسمح لی بالتطرق إلی الموضوعات كلها، ولذلک اخترتُ من هذه الموضوعات الأشهر والأهم، وأكثرها تداولاً من قبل الباحثين العرب والفرس. وتبدأ الحدود الزمنية لهذا الفصل بعام 1954م، إذ نشر فيه غنيمی هلال دراسته عن مجنون ليلی، وتنتهی بعام 2008م، إذ نشر الدكتور «صادق عسكری» كتابه *الحكمة بين المتنبی وسعدی؛ دراسة مقارنة*.

كما يضطلع الباب الثالث من هذه الرسالة بمهمة الحديث عن تجليات المدارس الأدبية المقارنة فی الدراسات المقارنة بين الأدبين العربی والفارسی، فخصصتُ الفصل الأول للحديث عن المدرسة الفرنسية التقليدية، والفصل الثانی عن المدرسة الأمريكية، وتناولتُ فی الفصل الثالث التجربة السلافية، وعمدتُ فی الفصول الرابع، والخامس،

والسادس إلى إلقاء نظرة على الاتجاهات الحديثة فى الدرس المقارن للأدب، مثل: الاتجاه الاستقبالى، والاتجاه الصورى، ونظرية ما بعد الاستعمارية.

أما الخاتمة فذكرتُ فيها أهم النتائج التى توصلتُ إليها فى هذه الدراسة، وألحقتها بملخصات لها باللغة العربية والفارسية والإنكليزية.

وختمتُ دراستى بملحق، أشرتُ فيه إلى ببليوغرافية الدراسات المقارنة النظرية والتطبيقية بين الأدبين العربى والفارسى فى الوطن العربى وفى إيران منذ إرهاصاتها الأولى إلى بداية عام 2012.

إن سعة مجال الدراسات المقارنة بين الأدبين العربى والفارسى، و توزع المصادر والمراجع فى هذا المجال فى أنحاء البلدان العربية المترامية الأطراف وإيران، وقلة البحوث والدراسات لجدة الموضوع وحداثته، كان من أكبر المشكلات التى واجهها البحث.